ملاحظات للقارئ

أولا: ليست هذه ترجمة حرفية للوثائق الأمريكية عن ناصر. توجد آلاف منها.

ثانيا: ليست ترجمة حرفية حتى لمقتطفات من الوثائق. أنها ترجمة معاني أكثر منها ترجمة كلمات.

ثالثا: تستعمل الترجمة اسم «ناصر» بهدف التبسيط. وهو الاسم الذي استعملته الوثائق، بدلا عن تكرار «جمال عبد الناصر.» وتستعمل، أيضا، «أمريكا»، بدلا عن تكرار «الولايات المتحدة الأمريكية.»

رابعا: تسجل تاريخ كل وثيقة، وتختصر الراسل والمرسل إليه، وتهمل رقم الوثيقة، وتهمل الإشارات والعبارات البيروقراطية في الرسائل.

خامسا: تستعمل هلالين، « »، لما ورد في الوثيقة.

سادسا : تستعمل ثلاث نقاط (...) عند تخطى جزءا من الوثيقة.

سابعا: في نهاية كثير من الوثائق، وبين قوسين، ( )، تفسير لأسماء أو كلمات وردت في الوثيقة.

ثامنا: في نهاية الكتاب، بعض أهم الوثائق كما كتبت باللغة الإنجليزية.

تاسعا: عاصر ناصر ثمانية سفراء أمريكيون، وتوجد إشارة إلى السفير الجديد في أول وثيقة كتبها، ولا تتكرر الإشارة.

عاشرا: عاصر ناصر أربعة وزراء خارجية أمريكيين. وتوجد إشارة إلى اسم الوزير في أول وثيقة عنه، ولا تتكرر.

الأهداف:

أولا: التنفيث النفسي بسبب غضب وحزن على ما تسمي «الحرب ضد الإرهاب» التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن بعد هجمات سبتمبر سنة ٢٠٠١. والتي يراها حربا غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام. وأيضا، يراها جزءا من الصراع التاريخي بين الغرب المسيحي والشرق المسلم.

ثانيا: معارضة (بل احتقار) السياسيين والعسكريين والصحفيين ورجال الدين المسيحيين واليهود الأمريكيين الذين يقودون حملة ربط الإسلام بالإرهاب.

ثالثا: التعبير عن ثقته في قدرة الشعب الأمريكي على الإنصاف، رغم أن ذلك يستغرق سنوات كثيرة، ويحتاج لصبر طويل.

رابعا: التعبير عن امتنانه للحرية الأمريكية التي سمحت له وهو المسلم، والإفريقي، والعربي، والأجنبي (أقلية رباعية)، ليقف محتجا أمام البيت الأبيض، بينما تحرسه شرطة البيت الأبيض، وتحترمه، وتتلطف معه.

الإهداء

إلى روح الرئيس جمال عبد الناصر. في السودان، هتفت له لأنه كان «محرر العرب» وفي أمريكا انتقدته لأنه كان دكتاتورا. لكن، بعد أن أعلنت أمريكا ما تسميها «الحرب ضد الإرهاب»، والتي أراها حربا غير مباشرة ضد العرب والمسلمين (إذا ليست ضد الإسلام)، بدأت أسأل نفسي: هل دكتاتورية عبد الناصر كانت تحرم عليه مقاومة الظلم الأمريكي على العرب والمسلمين؟

أتذكر أن أول مرة سمعت فيها عبد الناصر يتحدث في إذاعة القاهرة كانت وهو يلقى خطابه الشهير يوم ٢٦-١٠-١٩٥٤، في ميدان المنشية في الإسكندرية، بمناسبة جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس. وأتذكر طلقات الرصاص، وهو يكرر بصوت عال وحماسي: «أنا جمال عبد الناصر، أنا جمال عبد الناصر.»

في وقت لاحق، عرفت أن الرصاصات لم تصبه. وأصابت آخرين بجروح طفيفة، منهم الوزير السوداني ميرغني حمزة، الذي كان دعي لحضور الاحتفال. ثم قرأت عن اسم محمود عبد اللطيف، الذي حاول اغتيال عبد الناصر

وفي وقت لاحق، قرأت عن محاكمته (ثم محاكمات قادة الإخوان المسلمين) في صحيفة «الأخبار» التي كان يحضرها من مصر، من وقت لآخر، عمي يونس محمد يونس، سائق سيارة السيد إدريس الإدريسي الذي كان يتنقل بين القاهرة وأرقو، حيث كان مركز الطريقة الإدريسية (أصلها من المغرب).

قبل ذلك، عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢. كنت في السنة الثانية بمدرسة أرقو الأولية. كنت ولدت وتربيت في قرية «وادي حاج» القريبة من مدينة أرقو الصغيرة، التي تقع في شمال السودان، على نهر النيل، جنوب الحدود مع مصر.

لم يكن في القرية راديو. وحتى في أرقو نفسها، كان عدد من الأغنياء فقط يملكون راديوهات.

لكن، لحسن حظي، كان نادي أرقو (النادي الوحيد) بالقرب من قريتي، قرية «وادي حاج.» لكن، كنا صغارا، وكان ممنوعا علينا دخول النادي. لكننا، كنا نجلس في القناة خارج النادي لنسمع الأغاني السودانية، من إذاعة أم درمان.

وأتذكر أنني كنت أذهب في المساء، واقف خارج النادي لأسمع نشرات الأخبار من إذاعة أم درمان.

وأتذكر أخبار ثورة ٢٣ يوليو. وبيان اللواء محمد نجيب. ثم عرفنا أن أمه سودانية. وزاد حبنا له. ثم جاءتنا صوره. واشترى خالي حسن باشري صورة، وطلب مني أن أعلقها على حائط في المنزل (تربيت مع جدتي لأمي، ومع خيلاني وخالاتي في منزل آل باشري، الذي يقع، حتى اليوم، على مسافة عشرين مترا تقريبا من نهر النيل، وليس بعيدا من منزل والدي ووالدتي وإخواني وأخواتي في نفس القرية).

واشترى خالي، في وقت لاحق، أول راديو في القرية، وكان يسمى «راديو القيراط»، لأنه يشبه القيراط الذي تقاس به المحاصيل. وكان رجال القرية يجتمعون في المساء، خارج المنزل، بالقرب من نهر النيل، ليستمعوا لنشرة أخبار إذاعة أم درمان (السادسة والنصف)، و نشرة أخبار إذاعة لندن (الثامنة)، ونشرة أخبار إذاعة القاهرة (الثامنة والنصف).

وأتذكر، يوم خطاب عبد الناصر في الإسكندرية، ومحاولة قتله، وهو يصيح: «أنا جمال عبد الناصر، أنا جمال عبد الناصر.»

وأتذكر أول ألبوم صور لي. لم تكن فيه صور شمسية لأنها لم تكن معروفة في القرية. كان البوم صور قصصتها من الصحف التي كان يرسلها خال آخر هو عبد الحفيظ باشري (كان في مدرسة وادي سيدنا الثانوية، بالقرب من الخرطوم، وكان أول واحد في القرية يدخل مدرسة ثانوية).

وأتذكر أن أول، وأكبر صورة، في الألبوم كانت صورة جمال عبد الناصر. صورة له

كاملا، وهو يرفع يده مبتسما ومحييا. وكتبت عليها: «محرر العرب.»

بعد ٨ سنوات:

بعد ٨ سنوات، وأنا في مدرسة وادي سيدنا الثانوية (قرب الخرطوم)، جاء عبد الناصر لزيارة السودان، ضيفا على الرئيس الفريق إبراهيم عبود. احتفظ، حتى اليوم، بمفكرة سنة ١٩٦٠،وفيها الأتي:

يوم ١٣-١١-١٩٦٠، كتبت: «فوز كنيدي في انتخابات الرئاسة الأمريكية.»

يوم ١٥-١١-١٩٦٠، كتبت: «جمال عبد الناصر في الخرطوم.»

يوم ١٦-١١-١٩٦٠، كتبت: «رايته. رأيت الرجل. رأيت جمال بعيني راسي، وأنا لا أكاد اصدق...»

بعد ١٧ سنة:

بعد ١٧ سنة أخرى، وأنا صحفي، مسئول عن القسم الخارجي في صحيفة «الصحافة»في الخرطوم، انهزم ناصر أمام إسرائيل في حرب يونيو سنة ١٩٦٧. واستقال. بكيت، وبكى صحفيون معي، ونحن نكتب أخبار الاستقالة، وأخبار المظاهرات المؤيدة، وأخبار عودته إلى الحكم.

بعد ٣ سنوات:

وبعد ٣ سنوات أخرى، وأنا في صحيفة «الصحافة»، أعلنت وفاة عبد الناصر سنة ١٩٧٠. غريبة! هذه المرة لم أبكي. ولا أتذكر تفسيرا لذلك. ربما لأن نجم ناصر كان أفل بسبب الهزيمة. اعتقد أن السبب هو إحساسي بأن إسرائيل لم تهزم عبد الناصر فقط، ولكنها هزمت كل عربي وكل مسلم. لهذا تجرح الهزيمة قلبي حتى يومنا هذا. واعتقد أنني لست وحيدا، وسط الذين عاصروها، والذين لم يعاصروها. واعتقد أن جرحي لن يندمل «نظريا» حتى تعود فلسطين للعرب والمسلمين (والمسيحيين).

بعد ١٠ سنوات:

بعد عشرة سنوات أخرى، وأنا صحفي في واشنطن، مراسل لصحف ومجلات عربية رئيسية في الشرق الأوسط، اشتركت في نقاشات كثيرة، وعاصفة، خلال الثمانينات، مع

صحفيين عرب عن عبد الناصر. كنت تشبعت بنسيم الحرية الأمريكية، وكنت أعلن أن عبد الناصر، «محرر العرب»، كان أيضا دكتاتورا. وانه اعدم، وسجن، وعذب، وفصل، واستعلى وكأنه فرعون.

بعد ٢٥ سنة:

بعد ٢٥ سنة أخرى، وأنا صحفي في واشنطن، كتبت ربما يوميا عن ما سماها الرئيس السابق بوش الابن «الحرب ضد الإرهاب.» وعن غزو واحتلال أفغانستان، وعن غزو واحتلال العراق، وعن ضرب المسلمين شرقا وغربا، واعتقالهم، وتعذيبهم، وإحراجهم والإساءة إليهم. وأخيرا، بعد تأملات عميقة، وصلت إلى قناعة بأنها ليست إلا حربا غير مباشرة ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام.

وبدأت اسأل نفسي هذه الأسئلة عن دكتاتورية عبد الناصر:

أولا: هل كان حراما عليه، لأنه دكتاتور، نقد أمريكا بسبب ظلمها للعرب والمسلمين؟

ثانيا: هل يجب أن يكون أي حاكم عربي أو مسلم منتخبا انتخابا ديمقراطيا حتى ينتقد سياسة أميركا الظالمة نحو العرب والمسلمين؟

ثالثا: هل تقدر أمريكا على ظلم العرب و لمسلمين بحجة أنهم غير أحرار، وان حكامهم دكاتوريون؟

بعد ١٠ سنوات:

اليوم، بعد عشر سنوات أخرى، أرى أن دكتاتورية عبد الناصر لا تبرر ظلم أمريكا له. ومع حبي واحترامي لأمريكا والأمريكيين، وأنا مواطن أمريكي فخور منذ ثلاثين سنة تقريبا، أرى الآتي:

أولا: من حق أي مسلم أو عربي أن ينتقد سياسات أمريكا المعادية للعرب والمسلمين.

ثانيا: قلة تعليم الشخص، أو قلة حريته، أو قلة دخله، ليست سببا ألا ينتقد ظلم أمريكا له، وليست عذرا لأمريكا لتظلمه.

نعم، حرية أمريكا أحسن ألف مرة من دكتاتورية عبد الناصر. لكن ظلم أمريكا الحرة

لعبد الناصر الدكتاتور هو، في النهاية ظلم، وما كان يجب على عبد الناصر أن يسكت عليه. وهو، فعلا، لم يسكت عليه.

في الجانب الآخر، ظلم أمريكا لعبد الناصر ولبقية العرب والمسلمين هو ظلم لأمريكا نفسها، ولمبادئها. وما دام الظلم، أي ظلم، يستمر، يحس الظالم به ربما يحس به المظلوم.

وأخيرا، تجربتي الشخصية مع أمريكا، في جانب، ومع عبد الناصر، في الجانب الآخر، هي السبب الرئيسي لاهتمامي بالعلاقة بين أمريكا وعبد الناصر. ورأيت، بدلا عن أن أتفلسف وأنظر ، أن أجمع الوثائق السرية الأمريكية عن عبد الناصر منذ ثورة سنة ١٩٥٢، وحتى وفاته سنة ١٩٧٠، في محاولة لمعرفة شخصية عبد الناصر، وماذا كان سيكتب عن أمريكا، إذا كان كتب مذكراته قبل وفاته فجأة سنة ١٩٧٠.

حسب ما توضح سيرتي الذاتية على غلاف هذا الكتاب، بسبب غضبي على سياسة أمريكا نحو المسلمين والعرب، وبسبب قتلها، وجرحها، واعتقالها، وتعذيبها، ومطاردتها، وإساءتها، ومضايقاتها للمسلمين والعرب داخل وخارج أميركا، بدأت سنة ٢٠٠٨، آخر سنة للرئيس السابق بوش الابن، ما أسميه «جهاد صامت أمام البيت الأبيض حتى يتوفاني الله.»

من وقت لآخر، اذهب إلى أمام البيت الأبيض، واقف وحيدا وصامتا، وأحمل لافتة عملاقة عالية، على جانب منها سؤال: «وات از تيروريزم؟» (ما هو الإرهاب؟. وعلى الجانب الثاني سؤال: «وات از إسلام؟» (ما هو الإسلام؟).

وفي أسفل اللافتة، في حروف أصغر الآتي: «سأقف هنا حتى أموت! أريد تحسين صورة أمريكا في العالم الإسلامي. وتحسين صورة المسلمين في أمريكا.»

كما قلت، هذا جهاد صامت وفردي. وأنا أقف، تمر بخيالي أشياء كثيرة.

ومنها ذكرياتي عن عبد الناصر. الذي تحدي أمريكا وحليفتها إسرائيل. تحداهما حتى، كما اعتقد، كانا سبب وفاته، سياسيا، ونفسيا، وجسديا.

واهتف صامتا: وا ناصراه!

obeikan.com

مقدمة

هذه محاولة لمعرفة ما كان سيكتب جمال عبد الناصر عن علاقته مع أمريكا إذا كان كتب مذكراته قبل وفاته فجأة سنة ١٩٧٠. هذا بحث في شخصية عبد الناصر، وفي رأيه الحقيقي في أمريكا، ليس من خطبه الحماسية، ولكن من اجتماعاته السرية مع كبار المسئولين الأمريكيين، وخاصة سفراء أمريكا في القاهرة، الذين تعاقبوا خلال قرابة عشرين سنة (١٩٥٢-١٩٧٠).

كتبت عشرات الكتب وأطروحات دكتوراه وماجستير عن العلاقات بين مصر وأمريكا خلال سنوات الرئيس جمال عبد الناصر.

لكن، لم يكتب عبد الناصر غير كتاب واحد، وهو كتاب صغير، وصدر في بداية الثورة: «فلسفة الثورة.» كتب فيه كثيرا عن بريطانيا، التي كانت استعمرت مصر، واحتفظت بقاعدة عسكرية في قناة السويس، وسيطرت على النظام الملكي. كتب عبد الناصر عن غضبه على بريطانيا منذ أن كان صغيرا. وكتب: «عندما كنت صغيرا، حينما أرى الطائرات في السماء، كنت أصيح: «يا ربنا يا عزيز، داهية تأخد الانجليز.»

لكن، ليست في الكتاب إشارة إلى الأمريكيين.

وهم، طبعا، خلال السنوات التالية، حلوا محل البريطانيين في الشرق الأوسط. وتوترت علاقتهم مع عبد الناصر. خاصة بسبب تأييدهم القوي لإسرائيل.

عاصر عبد الناصر ثمانية سفراء أمريكيين. وقابل عددا كبيرا من مبعوثي الرؤساء الأمريكيين. وسجل عدد كبير منهم ما قال لهم عبد الناصر. وسجلوا، أيضا، بعض تصرفاته، ومزاحه، وغضبه، وسعادته، ومرضه، وعندما كاد يبكي بعد هزيمة سنة ١٩٦٧.

طبعا، هذه وثائق أمريكية من منطلق أمريكي. لكن، ربما هي الأقرب إلى معرفة شخصية عبد الناصر. لأنها:

أولا: أراء أجنبية، بالمقارنة مع ما كتب مصريون تأثروا بعوامل داخلية، وأهداف شخصية.

ثانيا: أراء رسمية، بدون وضع اعتبارات شخصية، وفيها محاسبات ومراجعات، وعليها اعتمدت السياسة الأمريكية.

ثانيا: أراء واقعية، بالمقارنة مع جهل كثير من واضعي السياسة الأمريكية في واشنطن.

من أهم الكتب التي صدرت في أمريكا عن عبد الناصر:

أولا: سنة ١٩٦٩: «لعبة الأمم»: مايلز كوبلاند، عميل في وكالة الاستخبارات المركزية (سي أى ايه).

ثانيا: سنة ١٩٧٠: «مصر تحت ناصر: دراسة في الديناميكيات السياسية»: رتشارد ديكميجيان، أستاذ في جامعة جنوب كليفورنيا في لوس انجلوس.

ثالثا: سنة ١٩٧٠: «ناصر»: انتوني ناتنق، الوزير البريطاني الذي فاوض ناصر حول الجلاء عن القاعدة البريطانية (١٩٥٤). ثم استقال بسبب اشتراك بريطانيا في الغزو الثلاثي ضد مصر (١٩٥٦).

رابعا: سنة ١٩٧٢: «ناصر: سيرة سياسية»: روبرت ستيفز، مراسل صحيفة «اوبزيرفر» في الشرق الأوسط.

خامسا: سنة ١٩٧٣: «وثائق القاهرة: القصة الخفية لناصر وعلاقته مع قادة العالم، والثوار، والحكام»: محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير «الأهرام» في ذلك الوقت، وصديق ناصر المقرب.

سادسا: سنة ١٩٧٨: «البحث عن الذات»: السيرة الذاتية للرئيس أنور السادات.

سابعا: سنة ٢٠٠٤: «ناصر، آخر العرب»: سعيد أبو ريش، صحفي فلسطيني.

غير أن أهم كتاب عن علاقة ناصر مع أمريكا هو الكتاب الأول، الذي أصدره عميل «سي أي ايه» كوبلاند. عمل مع ناصر جاسوسا من وكالة الاستخبارات المركزية (١٩٥٢-١٩٥٥)، ثم كمسئول في مكتب تخطيط سياسة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية (١٩٥٥-١٩٥٧).

لكنه عمل ذلك تحت غطاء عمله الحقيقي، وهو أنه كان محاميا، وكان يعمل في مكتب محاماة كبير ومشهور (حتى اليوم) في واشنطن: بوز، الين، هاملتون. ذهب كوبلاند، أولا، إلى دمشق حيث فتح مكتب محاماة واستشارات. وتقرب، سريعا، من الرئيس السوري شكرى القوتلي في بداية الخمسينات. ثم انتقل إلى القاهرة. وتعاون، في البداية، مع كيرمت روزفلت، الذي كان، حقيقة، جاسوسا كبيرا في الاستخبارات الأمريكية، واشترك في مؤامرة إسقاط حكومة محمد مصدق الليبرالية في إيران، وإعادة شاه إيران إلى الحكم.

لهذا، كانت نشاطات كوبلاند خليطا من استشارات وتجسس.

قبل أربعين سنة عندما كنت صحفيا في السودان، قرأت أخبارا عن الكتاب بعد أن طبع باللغة العربية (لم أقدر على شرائه). قرأت أسرارا مثيرة عن علاقة ناصر مع الاستخبارات الأمريكية، قبيل، وبعد ثورة ١٩٥٢. واستغربت، أو لم أصدق. مثل كثير من العرب في ذلك الوقت. وطبعا، استغل أعداء ناصر الكتاب، وقالوا أن ناصر كان عميلا للاستخبارات الأمريكية.

هذه السنة، اشتريت وقرأت نسخة من الكتاب باللغة الانجليزية. وهذه هي ملاحظاتي، وهي ذات جانبين:

في جانب، نعم، في الكتاب أسرار مثيرة عن علاقة ناصر مع الاستخبارات الأمريكية. وعن علاقة آخرين مع الاستخبارات الأمريكية، مثل: هيكل، ومصطفى أمين، أستاذه، ورئيس تحرير صحيفة «أخبار اليوم»، و زكريا محي الدين، نائب ناصر، و «رجل أمريكا.»

في الجانب الآخر، وبعد قرابة أربعين سنة في أمريكا، وبعد هجوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١، وبعد بداية ما يسميها الأمريكيون «الحرب ضد الإرهاب»، والتي أراها

حربا غير مباشرة ضد المسلمين (إن لم يكن ضد الإسلام)، وجدت في الكتاب كثيرا من الاستعلاء الأمريكي. وربطت هذا الاستعلاء مع «الحرب ضد الإرهاب»، من قبل إعلان «الحرب ضد الإرهاب.»

وجدت استعلاء، ووجدت إساءات.

وجدت إساءات، مثل هذه عن اللواء محمد نجيب، قائد ثورة ١٩٥٢، والذي اختلف في وقت لاحق مع ناصر، وعزله ناصر: «نجيب شرير في سعادة، يبدو فاسدا في قدسية. لكنه يبتسم في دفء. انه أحسن أب للمصريين.»

ووجدت استعلاء، مثل هذا عن ناصر: «تحت رعايتنا، قرر ناصر ... » و «شاور ناصر مساعديه والسياسيين، ثم نقل قراره إلى أصدقائه الأمريكيين الذين صفقوا له ... » و «اجتمع مع ناصر ليعرف قدرة فهم ناصر للوضع المصري.»

ووجدت تشجيعا لناصر ليكون حاكما دكتاتوريا. ليكون «رجلنا القوى في المنطقة.» وقرأت عن خبراء أرسلتهم الاستخبارات الأمريكية ليعلموا ناصر كيف يحكم بالقوة. حسب نظريات وفلسفات، مثل عنوان تقرير رفعوه إلى ناصر: «مشاكل القوة للحكومة الثورية.» بل أن الاستخبارات الأمريكية دربت المخابرات العامة المصرية «اعتمادا على الوسائل الأمريكية لهندسة الإدارة.» هذه عبارة غامضة، لكن معناها واضح.

ووجدت مشكلة أساسية بين ناصر و«أصدقائه» الأمريكيين تظل مستمرة حتى يومنا هذا، بين الأمريكيين والعرب، أصدقاء أو أعداء: اختلاف جذري في طريقة التفكير.

وجدت، قبل وبعد ذلك، أن هذه مشكلة أساسية بالنسبة لي، بعد أربعين سنة تقريبا في أمريكا: اختلاف جذري في طريقة تفكيري وطريقة تفكير الأمريكيين، حتى زوجتي وابني وبنتي.

فما بالك بمقابلة ساعة أو ساعة ونصف بين سياسي (سياسي، لا مواطن أميركي عادي «طيب»)، وحاكم عربي ربما حتى لم يزر أمريكا؟

مثلا: خلال عشاء في منزل ناصر، تندر خبير أمريكي على ثوار «ماو ماو» في كينيا، وقال انه كان الأبيض الوحيد وسطهم. ولم يفهم ناصر، وغضب، وكاد أن يطرده من

منزله.

مثلا: تجادل ناصر واريك جونستون (مبعوث الرئيس ايزنهاور لتقسيم مياه نهر الأردن بين العرب وإسرائيل) خلال عشاء في منزل ناصر. قال جونستون أن ناصر يجب ألا يستمع لآراء الشعب المصري. ويجب أن يقوده. ورد ناصر بأنه لابد أن ينفذ رغبات الشعب المصري. ورد جونستون غاضبا، وفي تهكم، وهو يخرج من منزل ناصر: «الرعاع في الشارع، لابد أن أقودهم.»

في نهاية الكتاب فصل كامل عن «الناصرية والإرهاب.» وفيه اتهامات مفصلة لناصر بأنه «إرهابي» لأنه كان يساعد «منظمات إرهابية»، مثل حركات المقاومة في عدن ضد الاحتلال البريطاني، وفي فلسطين ضد الاحتلال الإسرائيلي.

في اختصار، وجدت كتاب «لعبة الأمم»، رغم الضجة الكبيرة حوله عندما نشر، ويستمر بعضها، فيه قليل من المعلومات السرية، وكثير من النظريات والفلسفات، والمعلومات الموجودة في مصادر أخرى.

تعكس هذه النظريات والفلسفات ليس فقط رأي كاتب الكتاب، ولكن التفكير الأمريكي العام نحو ناصر، ونحو قادة عرب أمثاله، بل ربما نحو كل القاعدة العرب. وهو، كما قلت:

أولا: تفكير مختلف جدا عن تفكير العرب والمسلمين (وربما كل الشرقيين).

ثانيا: تفكير استعلائي، أن لم يكن عدائيا. من «إرهاب» ناصر حتى «إرهاب» المسلمين بعد هجوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١.

يوجد كتاب رئيسي أخر طبع في أمريكا عن ناصر، هو : «كايرو دوكيومنتز» (وثائق القاهرة) الذي كتبه هيكل.

ولاحظت أن كوبلاند وهيكل وناصر تعاونوا قبيل، وبعد، ثورة ١٩٥٢. وبعد عشرين سنة تقريبا، كتب كل من كوبلاند وهيكل كتابه عن ناصر. كتب هيكل عن ناصر وكوبلاند. وكتب كوبلاند عن ناصر وهيكل. ولسوء الحظ – وطبعا القدر -- لم يكتب ناصر كتابه.

كتب كوبلاند عن هيكل: «كان هيكل يلطف كلمات ناصر، وينقلها إلى السفارة الأمريكية، ثم يلطف كلمات السفارة، وينقلها إلى ناصر.»

وكتب هيكل عن كوبلاند بدون أن يشير إلى اسمه، ووصفه بأنه «جاسوس يعمل مع سي أى إيه.» وهناك تناقضات واضحة في وصف الاثنين لناصر. بل في وصف أحداث معينة. مثل «هدية» الثلاثة مليون دولار:

كتب كوبلاند أنه، في سنة ١٩٥٣، اقترح إرسال مبلغ من المال «لاستعمال خاص، مثل حماية نفسه امنيا بسبب التهديدات التي صار يتعرض لها.» واقترح، أيضا، إرسال سيارة «كاديلاك» مصفحة، وشرطة من «سيكريت سيرفس» (الخدمة الخاصة، شرطة حماية الرئيس الأمريكي) لتدريب الشرطة التي تحمى ناصر.

وكتب أنه، بعد أن وافق المسئولون في واشنطن، شاور حسن التهامي، مدير مكتب ناصر، إذا سيقبل ناصر «الهدية». وأن التهامي قال له أن ناصر وافق.

وكتب كوبلاند انه حمل الثلاثة مليون دولار نقدا إلى منزل التهامي، وحسباها مرتين، ثم سلمها له. وفي وقت لاحق، قال التهامي لكوبلاند أن ناصر قبل الهدية «في خليط من عدم الارتياح والمزاح.» وكاد أن يعيدها. لكن قال التهامي لناصر انه يمكن الاستفادة منها لبناء شيء رمزي تاريخي، لا صله لها بالأميركيين. وكان ذلك «برج القاهرة.»

لكن، كتب هيكل أن «عميل سي اي ايه يسكن في منزل فاخر في حي المعادي» سلم المبلغ لرجل في الاستخبارات المصرية الذي سلمها إلى اللواء محمد نجيب الذي وضعها في خزنة مكتبه. وان ناصر لم يعرف أي شيء عن الموضوع. حتى، مرة، عندما كان يتحدث عن خطة لبناء برج عالي لتقوية إذاعة القاهرة، قال له أن هناك مبلغ من المال من أمريكا يمكن أن يستعمل لبناء البرج.

وكتب هيكل أن ناصر استغرب، وغضب، وفي الحال، ذهب إلى محمد نجيب في مكتبه، وأعلن انه يرفض «أي رشوة». وقال له نجيب أن المبلغ ليس من الاستخبارات الأميركية، لكن من مكتب الرئيس ايزنهاور، حسب ميزانية خاصة للرئيس الأميركي لمساعدة رؤساء دول آخرين في حماية أنفسهم. وطلب ناصر من نجيب عدم التصرف في المبلغ إلا بقرار من مجلس قيادة الثورة. وقرر المجلس، في وقت لاحق، صرف المبلغ

لبناء برج القاهرة.

يوضح هذا التناقض بين هيكل وكوبلاند حول «الهدية الأمريكية» صعوبة معرفة ناصر الحقيقي، وعلاقته الحقيقية بأمريكا.

طبعا، يعرف هيكل ناصر أكثر من ما يعرف كوبلاند. كان، عبر السنوات، صديقه، ورفيقه، ومستشاره، ووزيره. ويقال انه هو الكاتب الحقيقي لكتاب «فلسفة الثورة» و«الميثاق الوطني». كتب هيكل أحسن كتاب عن ناصر: «وثائق القاهرة.» ويغطى الكتاب كل سنوات ناصر، بينما يغطى كتاب كوبلاند سنوات قليلة.

لكن، كتاب «وثائق القاهرة» لا يقدم ناصر الحقيقي:

أولا: انحاز هيكل نحو ناصر في تسجيل تاريخ ناصر. مثلما أوضح المثال السابق عن «الهدية الأمريكية.»

ثانيا: يتكلم هيكل في الكتاب بلسان ناصر، في كل كبيرة وصغيرة (أيضا بالسنة آخرين). ويضع كلامهم بين قوسين، وكأنه سجل كل شيء، حتى النكات والتعليقات العابرة.

ثانيا: سكت هيكل على دكتاتورية ناصر. وكان جزءا هاما فيها. ولم ينتقدها حتى في الكتاب الذي كتبه بعد وفاة ناصر.

ثالثا: كتب هيكل الكتاب في ظل دكتاتورية ثانية: دكتاتورية الرئيس أنور السادات. وأثر هذا على مصداقية ما كتب عن ناصر، وما كتب عن السادات.

رابعا: رغم أن هيكل اشتهر بأنه «أهم صحافي في العالم (لأنه كان قريبا جدا من زعيم عالمي)، تظل شكوك تحيط بما كتب عن ناصر الحقيقي.

وتظل شكوك تحيط بما كتب السادات عن ناصر الحقيقي. بعد وفاة ناصر، أعلن السادات حملة ضد ما اسماها «دكتاتورية» ناصر. وكأنه لم يشترك فيها. وكأنه لم يكن نائب ناصر لسنوات طويلة. وكأنه هو نفسه، عندما خلف ناصر، ولعشر سنوات، لم يكن دكتاتورا، حتى قتل سنة ١٩٨٠.

لهذا، هذا الكتاب محاولة أخرى للبحث عن ناصر الحقيقي. هذه المرة من وثائق أمريكية، وطبعا، من وجهة نظر أميركية. لكنها، على الأقل مختلفة.

ما دام ناصر لم يكتب مذكراته، ستستمر محاولات الوصول إلى ناصر الحقيقي.

محمد علي صالح

واشنطن

أبريل ٢٠١٣

obeikan.com